



الشرق الكبير بين سلوك التي قبل زواجه وبعده، وانتعير الفجائي الذي يعرأ على الفتاة قبل زواجها أو عند خطبتها فتراها تيل إلى الادخار، وإلى ملاحظة ما يدور حوضاً في المنزل، وإلى مساعدة أمها مساعدة جندي في اذرة شقوؤ البيت وإلى العناية بأخيها الصغير وإلى الاستقرار وأمدوه في حجرها. وينقد سلوك التي الصبانية في افكاره وحركاته وتهبط آماله من سماه اطيال المطلق الشمري، ال عالم الحقيقة، كما ان الشعور بالمسئولة يصبح حركاته ويصقل افكاره. فهو لم يعد بعد ذلك الزكل الذي يترك جبل الامور على غاريه<sup>(١)</sup>

هذا إذا أضفنا أن التردد في الاعمال وفي اختيار المهنة يتف بعد الزواج فتصرف قري الشاب لا إلى التفكير في مهنة أخرى إذا فشل في الأولى بل إلى ابتكار أسباب النجاح بالمناورة في عمله.

ان صبح التشجيع على الزواج بصفة دينية كان من شأنه الاسراع فيه، وانتشاره انتشاراً كبيراً بين الشعوب

فعد الشعوب النطرية كما بينت، يتزوج التي والفتاة عند المراهقة مباشرة. ومما يساعد على ذلك بالطبع: العوامل الاقتصادية التي اهمها وفرة المواد الغذائية، وبساطة الحياة إذ ليس هناك ما يدعو إلى تكوين منزل كامل كما هي الحال في عصرنا الحاضر. بل أن بعض الشعوب تتخلى في ذلك بأن تعرض على الآباء اتمام عقود الزواج بين ابنهم وهم بعد في دور الطفولة. فيختار الاب لطفله زوجة من فتيات العائلة، أو القبيلة عند ولادتها مباشرة أو في خلال أعوامها الأولى وهي لا تزال تدرج على الارض؛ فيعقد بينهما اتفاق صوري كما هو الحال في الهند إلى عهد قريب جداً حتى تدخلت السلطات الانجليزية في الامر

ومما يساعد على ذلك سرعة نمو جسم الفتيات لا سيما في البلاد الدافئة، فتتخذ البشواهر الجسمية دليلاً على المراهقة، وضرر هذا بليغ على الزوجة كما صابتها باضطرابات عصبية أو بالمعقم. وكمن فتيات صرد امهات في مراكن واهند بل وفي مصر ولم يبلغن بعد العاشرة<sup>(٢)</sup> وانتشار الحضارة وما ترتب عليها من تغيير النظم الاجتماعية المختلفة ساعد كثيراً

(أولاً) على رفع مستوى سن الزواج عند المرأة والرجل

(ثانياً) على انخفاض نسبة عدد عقود الزواج

(١) وليس أدل على ذلك من أن الحكومة التركية أصدرت حديثاً قانوناً يشترط فيه ان سائق السيارات او انقطارات لا بد وان يكونوا من المزدوجين. لان الاحصائيات قد دلت على ان حوادث الاسطمان سببها العازبون من السائقين هؤلاء يشعرون شعور غريهم بالمسئولة الخطرة المتقاء على قائمهم

(٢) في احصائية سنة ١٩٢٧ (وذلك قبل اصدار قانون الزواج) كان عدد الفتيات اللاتي تزوجن قبل بلوغهن العاشرة ٤ فتيات

ولعل الاسباب التي ساعدت على رفع مستوى سن ازواج مطالب الحياة المتحضرة ومثزمتها . اذ انه لا يتطلب فقط من الرجل ان يقتل تمساحاً أو ان يحتمل تجربة جسدية عنيفة ليكون كنهه الزواج ، بل يجب عليه ان يكون قادراً على اعادة اسرته ورضية صغره ثم هناك حرية المرأة ودخولها في ميدان الحياة العملية ، فالأب الذي كان عاملاً على زواج ابنته لكي يقوم غيره بمطالبها ، والفتاة التي كانت تنظر الى الزوج كمائل لها ، صارت الوجهة الاقتصادية لديها ضعيفة الاثر لا تكفي كبراء الاقبال على الحياة الزوجية بما فيها من تبعات ومناعب ، لاسكانها أهالة نفسها . كما أن تنوع أسباب الحضارة ومسرحتها ، واتساع دائرة الدراسات العلمية المختلفة وجهاً أنظار الشباب الى غير ناحية الزواج ، وتحمل مسئولية تكوين الاسرة . والاحصائيات التي اجريت في اميركا واوروبا تدل على ان سن الزواج ارتفع كثيراً لا سيما بين الطبقات المتقنة ، ومختلف باختلاف المهنة التي يشتغلها كل من الزوجين . ومثال ذلك : ٣١ للرجل الموظف ، ٢٦ للمرأة — ٢٧ للتاجر ، ٢٤ للمرأة — ثم ٢٥ للعامل ، ٢٤ للمرأة ومما نشاهده في كل هذه الاحصائيات ان سن الرجل اكبر من المرأة . وأن هذا الفرق يجب الا يتعدى سنتين او ثلاثاً . لانه كلما بعدت الشقة في السن بعد التوفيق بين الزوجين ، لا كما يظن البعض ان الفتاة دون العشرين اكبر عوزاً على السعادة الزوجية كما ان نسبة عقود الزواج سقطت سقوطاً هاملاً بسبب تعدد مطالب الحضارة لراهنه ، وسوء الحالة الاقتصادية العامة . فقد قال بعضهم ان نسبة الزواج تتناسب تناسباً عكسياً مع ارتفاع اثمان الغذاء الرئيسي كالقمح والذرة والارز

\*\*\*

هل الرجل او المرأة حر في اختيار رفيقه كما يشاء ؟ نعم ان الحرية حق مكتسب للجميع ولكن يجب ألا يتعدى ذلك الحدود التي وضعها التقاليد او القوانين وهي نتيجة للتقاليد في الغالب . ابي ثوره تسلحك واي نزع يبطر عليك اذا سمعت بأن شخصاً قد تزوج اخته واي شعور تحس به نحوه ؟ يستحيل في نظرك هذا الرجل مجرماً متوحشاً خالياً من كل نزعة انسانية . لماذا ؟ انه لم يأت ما يعود على المجتمع بضر ولكن لانه تعدى على تقاليد الموضوعة تزواج الاخت عند القضاة لم ينظر اليه بهذه النظرة المجرمة ، وان لم يكن منتشرأ بين عامة الشعب ، الا انه قد كان طاعة متبعة بين الأسر المالكة

فهذه التقاليد والقوانين التي قيدت حرية اختيار الزوج او الزوجة على نوعين : احدهما

(١) حسب تعداد سنة ١٩٠٠ كانت نسبة عقود الزواج لكل ١٠٠٠٠ رجل او امرأة في دور الزواج في بعض جهات اوروبا نحواً من ١٣٨٦ هبطت الى حوالي ٤٦١ في إنجلترا قبل الحرب — ولا شك ان هذه النسبة هبطت أكثر بعد الحرب انهطس التي قبلت انظم الاجتماعية العالمية فلبه حاتمة

يشاق مع الآخر. القانون التقليدي الأول هو الذي يحرم الزواج خارجاً عن دائرة مخصوصة كالتبيلة أما الثاني فهو الذي يحرم عكس ذلك أي أنه يمنع الزواج بين أفراد رابطة خاصة. والزواج ممنوع في كثير من الحالات جريماً على هذه التقاليد داخل الدائرة وخارجها

(١) ولنبحث في النوع الأول من هذه التقاليد. إن هناك شعوباً لازال إلى الوقت الحاضر تحرم على أفرادها الزواج من غيرها من الشعوب الأخرى، وأظهر ما نرى ذلك في الدول النامية أو المستعمرة، فالاسبانيون عند فتح امريكا الوسطى اصنعوا مثل هذا القانون الذي كان يحرم على الاسباني أو الاسبانية الزواج من ارضيين - وكذلك الحال مع الانجليز في مستعمراتهم الشرقية بل حتى التي تكهنها سلالة انجليزية كجنوب افريقيا واستراليا. وكذلك الحال مع الاتراك حتى عهد ليس بعيد في مصر حيث كانوا يحرمون على علم الزواج من الفلاحين. ولكن الشعوب تختلف بحسب تقاليدها وثقافتها في ذلك. فالفرنسيون مثلاً يشجعون الزواج بالوطنيين في شمال افريقيا لتقوية الصلة بينهم وبينها. ولا تشمل فقط هذه التقاليد الشعوب بل زواها بين بطون النصب الواحد أو القبيلة الواحدة حيث يسعى رؤساء هذه القبائل إلى الاحتفاظ بسلامتهم من الاختلاط والتموضي ولا ينتهي الأمر عند ذلك بل إن الدائرة تضيق حتى لا تقع إلا لأفراد الطائفة أو العائلة الواحدة من القبيلة كما هي الحال في الهند أو عند سكان استراليا الاصليين

ولعل كل ذلك يرجع إلى أسباب سيكولوجية وهو التنافر الذي يجده فردان من طائفتين مختلفتين في العادات والتقاليد، واللغة، ووسائل المعيشة والزعة الشعبية ثم هناك حاجران كبيران تقيهما التقاليد في سبيل حرية الزواج. الأول الفروق الدينية والآخر الفروق الاجتماعية ولو بين أفراد الشعب الواحد

تشمل الفروق الدينية أيضاً الفروق المذهبية والطائفية بين أفراد الدين الواحد ويرجع قيام هذه التقاليد إلى خوف أفراد الدين الواحد من زعزعة أركانه بالاختلاط بديانات أخرى لاسيما في المهور الماضية التي كان فيها رجال الدين سطوة وسلطة وكانت الجماهير جاهلة لا تعرف ما لها وما عليها، مماثلة الرأس بالمعتقدات التي يشها رجال الأديان لتعزيز سلطتهم وقد يكون السبب الآخر حقداً بين طائفتين أو مذهبتين انبتت هذه الاختلافات الدينية فتدفعهما إلى من مثل هذه التوائين. فالكنيسة كانت تحرم الزواج بين أفراد المذاهب المسيحية المختلفة لاسيما في القرون الوسطى لما كانت المنازعات على أشدها - أو كتحرير الزواج بين المسيحيين وبين اليهود<sup>(١)</sup>

(١) في سنة ١٥٦٣ أصدر مجمع ترنت Council of Trent قانوناً يقضي بأن كل زواج بين الكاثوليك وإية طائفة من الطوائف المسيحية الأخرى يعد لاغياً. بينما صدر في عام ١٨٤٤ قانون من المؤتمر اليهودي بأن تزواج اليهود من الطوائف الموحدة Monotheistic لا غير محرم

أما الاختلافات بين الطبقات فكان أشدها في عهد الاقطاع حيث كانت هذه الفروق على أشدها ، فهذه التقاليد تحرم تزواج أفراد الطبقة الواحدة من أفراد أخرى ، وهناك إلى الآن شبه قوانين تحرم على أفراد المائلات المالكة الزواج من غير هذه الطبقة ، وإن اختلفت المذاهب والشعوب ، فكان الاعتداء على الفروق الشعبية أيسر من انتهاك حرمة الفروق الاجتماعية وهذا التحريم لا يرجع بنا إلى القرون المتوسطة فقط ، بل كان أكثر وضوحاً في عهد الامبراطورية الرومانية ، لما كانت الدولة مقسمة إلى طبقات ثلاث ، وكان محرماً على أفراد الطبقة الواحدة الزواج إلا من بين أفراد طبقتهم

ولكن النهضة العلمية الحالية وانتشار الروح الديمقراطية قضى إلى حد كبير على هذه الفروق فنضاعت آثارها أو كادت تنضغ ، ولكن يجب ألا ننسى أن هذه التقاليد مبنية على بعض أسس نفسية واجتماعية لها شأنها وأثرها



(ب) ثم هناك تقاليد ترمي إلى تقييد ذلك. فنحرم الزواج بين أفراد الجماعة الواحدة بينما تسمى وتنسج الزواج من الغرباء عنها

والمقصود بالجماعة في هذه الحالة هي الجماعة التي يرتبط أفرادها «برابطة الدم» وكلما كانت هذه الرابطة وثيقة متمسكة تشددت هذه التقاليد في تحريمها : كاستناع زواج الابن والامهات والآباء والبنات ، ثم الاخوة والاخوات ، وإن كان هذا يتجاوز عنه في بعض الحالات كما بينت عند التقدماء . فإبراهيم مثلاً تزوج لخته وبطليموس كيويتره . ثم هناك من الشعوب من تحرم الزواج بين أبناء الأعمام أو الاخوال كما في بعض المقاطعات الاوربية الشمالية . أما عن الاسلام فقد ورد في القرآن ذكر هؤلاء الذين يحل أو يحرم الزواج فيما بينهم

ولا تشمل دائرة التحريم رابطة الدم ، بل أنها لتتعدى ببعض أنواع أخرى من العلاقات كالنعرف الوثيق : كأخت الرضاة عند المسلمين ، أو تحريم زواج الرجل بأخت زوجته للثورة عند الكاوليك

ولقد قسم الاستراليون القدماء التبيلة الواحدة إلى جماعات ، من حيث تحريم الزواج ، فلا يحل لأفراد الجماعة الواحدة أن تزوج إلا من بين أفراد جماعة أخرى أو جماعة معينة ، وكل من يتعدى هذه التقاليد يعاقب عقاباً صارماً قد يكون الموت

وقبل أن نقرر أصول هذه التقاليد من الناحيتين البيولوجية والنفسية ، يستحسن أن نورد بعض المعتقدات التي تنبع هذه الشعوب للاخذ بهذه التقاليد . فمنهم من يعتقد أن

الزوجة لا بد وان تسلب رتبي ، وهذا لا يتأتى إلا اذا هاجت قبيلة اخرى ، فرجوع الرجل بفائدة من قبيلة اخرى دليل على قوته وعلى شجاعته ، وقد يكون هذا اساساً لما منعرفه بعد بزواج الاغتصاب ومنهم من يعتقد ان ازواج تبادل تجاري وهذا يستلزم ان يكون مع قبيلة غريبة . كما ان بعض هذه القبائل تعتقد ان الزواج بالاقرباء يرجع عليهم باوخم النتائج فهلك مزارعهم وحيواناتهم بل وتعم نسائهم

ولكن لعل تحريم الزواج بالاقرب نتيجة لاسباب بيولوجية ثم سيكولوجية . فمن السبب الاول لقد تحقق ان التسلسل الناتج من فردين من ذوي قرين ينشأ ضعيفاً هزلياً ، وهذا واضح بين بين النباتات ، فالنتيج بين نباتين مختلفين من فصيلة واحدة ينتج تاجاً حشائيباً العكس يساعد على اضمحلال النوع باسمه كما قرر ذلك دارون<sup>(١)</sup>

ثم هنالك السبب البيولوجي وهو ان قرب فردين احدهما من الآخر مدة طويلة لاسيما في دور الطفولة من شأنه ان يحدد كل ميل جنسي او انجاب او تقدير يكون مصدره هذا الميل ، فذلك دلو على اهمية التربية المزدوجة Co-Education التي تتيج اختلاط الفتيات والعيان في المدرسة ، فهذا الاختلاط من شأنه ان يحدد كل ميل جنسي بين افراد هذه الجماعة

وليس هذا مقتصرأ على الانسان بل هو كذلك مشاهد في المملكة الحيوانية فهناك من الباحثين في طبائع الحيوان من يقرر ان بعض الطيور كالطعام مثلاً ترفض بتاتاً اتخاذ الرفاق من افراد العش الواحد بينما ترى الصرخ يسمى لاتخاذ الاليف من الامشاش البعيدة . وكذلك الحال مع بعض الحشرات كالنحل والنحل

فهذا الرأي اذا كان صحيحاً يناقض ما يقول به العلامة فرويد من ان الميل موجود حقيقة فينا ولكنه مكبوت بتأثير التقاليد الاجتماعية ولكن لا بد لنا ان نتساءل ما الداعي لكبت هذا الميل اذا لم يكن هنالك خطر حيوي يعود من جرائه . لماذا مثلاً نشر بالتحذار شبه طبيعي ( لا اقول طبيعي ) اذا تزوج الابنتاته أو الام فتاها ؟ هل هنالك من جواب علي جازم ؟

( للبحث بقية )

### موضوع المقالة القادمة

[ كيف ينتار الرجل زوجته -

زواج الاغتصاب عند الشعوب

التطرية - آثاره الراحنة في

الشرق والغرب - أسسه

السيكولوجية - زواج الفراقعة -

المساومة وكيفية تطور المهر ]

احمد عطية أذ

مدرس التربية بعمليات حلوان